إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للأباء الكهنة **اكتوبر ٢٠١٧م**

اكتشاف مشيئة الله

يحتاج الأب الكاهن بشدة لأن يكتشف مشية الله في العديد من الأمور في الحياة اليومية سواء فيما يخص قرارات يتخذها في الخدمة أو فيما يخص الإرشاد الذي يقدمه لمخدوميه. أورد هنا نصاً مميزاً عن القديس سلوان الأثوسي ورد في كتاب سيرته وأقواله الذي كتبه القديس صوفرونيوس يوضح فيه كيفية اكتشاف مشيئة الله.

"اعتاد الأب أن يكرر: حسن جداً في كل وقت أن نسأل الله أن نفهم ما يجب علينا أن نفعل أو نقول، وبأية طريقة. وبتعبير آخر: في كل مناسبة وبدون استثناء يجب علينا أن نهتم باكتشاف مشيئة الله ووسيلة تنفيذها. وطلب معرفة مشيئة الله هو أهم شيء في حياة الإنسان، إذ يحدث أنه حينما يوجد على مستوى مشيئة الله فإنه يصير شريكاً في الحياة الأبدية الإلهية.

هناك طرق مختلفة لاكتساب معرفة مشيئة الله تلك. إحدى هذه الطرق تكون عن طريق كلمة الله، أي وصايا المسيح. لكن وصايا الإنجيل بكل كمالها تعبر عن مشيئة الله في معناها الإجمالي السامي، في حين أن الإنسان في حياته اليومية معرض لمواقف معقدة لا تنتهي. وفي العادة لا يعرف ماذا يفعل لكي يكون خاضعاً لإرادة الله. والإنسان الذي في قلبه محبة الله، مدفوعاً بهذه المحبة، يتصرف بما يتماشى مع الفروض التي تقربه من مشيئة الله. لكنها تقربه فقط، ولا تبلغه الكمال. وعدم بلوغ الكمال يضطرنا جميعاً أن نلجأ لله دائماً بالصلاة من أجل الفهم والمعونة.

ليست المحبة الكاملة هي فقط الفائقة لقدرتنا، بل أيضاً المعرفة الكاملة. قد يبدو أن العمل قد تُمم بنية حسنة لكن له نتائج شريرة غير مرغوبة لأن الأسلوب المتبع كان سيئاً أو ببساطة خاطئاً. ودائماً نسمع الناس يبررون أنفسهم بأن قصدهم كان الخير، لكن النيات الحسنة لا تكفي. الحياة مملوءة بأخطاء من هذا النوع. وهذا هو السبب الذي يدفع الإنسان المحب لله دائماً أن يلتمس الله للفهم، وأن يبقي أذنيه مفتوحتين باستمرار لسماع صوت الله في داخله. وبشكل عملي تتم هذه العملية كالتالي: كل مسيحي، **وعلى الأخص إذا كان أسقفاً أو كاهناً**، حينما يرى نفسه في مواجهة مع مشكلة تتطلب حلاً موافقاً لمشيئة الله، **عليه أن يرفض في داخله كل معرفة شخصية، وآراءه المسبقة، وخططه ورغباته. وإذ يتحرر من كل شيء "ذاتي" يتجه بقلبه نحو الله بالصلاة والانتباه، وأول فكر يولد في نفسه بعد هذه الصلاة يقبله كعلامة من فوق.** مثل هذا البحث عن معرفة مشيئة الله بالتضرع المباشر في الصلاة يقود الإنسان، خصوصاً الذي في شدة أو ضيقة، إلى **"استماع الله يجاوبه في قلبه"**، حيث اعتاد الأب سلوان أن يقول: "ويعرف كيف يفهم إرشاد الله".

الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، ومدعو إلى ملء الصلة المباشرة مع الله. بالتالي، ينبغي على كل الناس بدون استثناء أن يطرقون هذا السبيل. لكن الاختبار الواقعي يظهر أن هذا السبيل ليس لكل أحد. هذا لأن أغلب الناس لا يسمعون ولا يفهمون الله المتحدث في قلوبهم، لكنهم ينصتون لإلحاح الهوى الساكن في النفس الذي بصخبه يغرق صوت الله الذي لازال خافتاً".

وفيما يخص إعطاء الإرشاد والمشورة للمخدوم كتب قائلاً:

"أب الاعتراف حينما يجيب على مشكلة خلال خدمته، يكون في هذه اللحظة غير متأثر بالهوى الذي يؤثر في سائله. وهكذا يستطيع أن يرى بشكل أوضح وأن يكون أكثر خضوعاً لعمل نعمة الله. **وعادة ما تكون إجابته مشوبة بعدم الكمال. لكن هذا ليس بسبب افتقاره لنعمة المعرفة لكن بسبب أن الكمال بعيد عن متناول وقدرة الشخص السائل.**

وعند التماس المشورة، يصلي الأب الروحي لله طالباً الفهم، لكنه يجيب حسب قدرته كإنسان، وحسب قياسه في الإيمان. "آمنت لذلك تكلمت" (٢كو٤:١٣) كما كتب بولس الرسول، لكن: "نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ" (١كو١٣:٩). وحينما ينصح الأب الروحي أو يخبر إنساناً ماذا يفعل، يكون هو نفسه حريصاً ألا يخطئ ويكون مداناً أمام الله. **وفي اللحظة التي يواجه فيها اعتراضاً أو حتى بعض المقاومة الداخلية من جانب السائل، فإنه لا يصر ولا يفترض أنه متأكد أن ما يقوله هو تعبير عن مشيئة الله، ولكونه إنسان فإنه ينسحب.** لقد كان الأب سلوان يصمت عندما يقابل بمقاومة.

لماذا يكون الأمر هكذا؟ أولاً لأن الروح القدس ليس فيه لا عنف ولا جدال. ومن ناحية أخرى لأن مشيئة الله أعظم من أن تنحصر أو تجد التعبير الكامل في كلمات الأب الروحي. الإنسان الذي يقبل هذه الكلمات من أبيه الروحي بإيمان لكي يسر الله، والذي لا يخضعها لأحكامه الشخصية أو يجادل فيها، هو الوحيد الذي وجد الطريق الحقيقي لأنه يؤمن بشدة أن: "عند الله كل شيء مستطاع" (مت١٩:٢٦).

كثير من الناس يقعون في خطأ التطلع للمرشد الروحي كمجرد إنسان عادي مثلهم له سقطات مثلهم (إنهم يظنون أنه ينبغي عليهم أن يشرحوا له كل الظروف والملابسات وإلا لن يفهم. إنه قد يسيء الفهم بسهولة، وبالتالي، يجب وضعه على الطريق الصحيح). لكن أولئك الذين يعارضون ويصححون أبيهم الروحي يضعون أنفسهم في مستوى أعلى منه، ولم يعودوا بعد تلاميذ. صحيح أنه ليس أحد كامل، ولا أحد تجاسر أن يعلم مثل المسيح "كمن له سلطان" (مت٧:٢٩) لأن التعليم ليس من إنسان ولا مسّلم من إنسان (غل١: ١١-١٢)، إلا أن خزف الفخاري يحوي الكنز الثمين الذي لمواهب الروح القدس.

يقترب المبتدئ أو التائب من أب اعترافه بهذه الحكمة، أي يذكر باختصار الأفكار التي تزعجه أو يشرح النقاط الرئيسية التي تخص حالته ثم بعد ذلك يترك الحرية لأب اعترافه الذي يظل في صلاة منذ البداية منتظراً أن يستنير من الله. بعد ذلك لو شعر أب الاعتراف

بصوت الله فإنه يعلن رأيه الذي ينبغي أن يكون نهاية المسألة، لأنه لو أُغفلت 'أول كلمة' تُنطق على لسان أب الاعتراف، فإن فاعلية السر تتلاشى **ويتحول الاعتراف إلى مجرد تبادل آراء**".

الله صانع التاريخ

١- الله كقانون:

العهد القديم كله يعلن الله قادر على كل شئ قدرة لا نهائية ممتدة على طول المدى والزمن، لا يحدها فكر الإنسان، ولا تضبطها أو تقيسها أية قوة أخرى. فالله يأخذ صفة "القادر" أخذاً مطلقاً لتصير له هذه الصفة اسماً ، فهو "القدير" (تك ١٧ : ١).

ولكن فى نفس الوقت، يوضِّح العهد القديم كيف يمكن التنبؤ دائماً بما سيعمله الله. فقدرة الله بالرغم من أنها فائقة، فهى معقولة ومنطقية لا تتعارض أبداً مع أمانته أو تُخالف محبته أو تتجاوز رحمته: "الرب بطئ الغضب وعظيم القدرة، ولكنه لا يُبَرِّئ البتة ... صالح هو الرب، حصن فى يوم الضيق، وهو يعرف المتوكلين عليه. ولكن بطوفان عابر يصنع هلاكاً تاماً لموضعها، وأعداؤه يتبعهم ظلام" (ناحوم ١ : ٣ ، ٧ ، ٨). فأعمال الله كلها فائقة على كل ما يتصوره الإنسان، ولكن بالرغم من ذلك يستطيع الإنسان أن يثق فيها ولا يخاف منها، بل ويمكن أن يعتمد عليها وينتظرها ويتعامل معها، فيتحقق من صدقها ودقتها، فتبدو مَبدِعةًعلى قدر ما هى مخيفة:" الله ملجأً وقوة، عوناً فى الضيقات وُجِدَ شديداً"(مز ٤٦ : ١) ولكن "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب ١٠ : ٣١). كما أن الله لا يتغير قط فى كل ما يقوله وفى كل ما يعمل، وفى كل تصرفاته يبقى دائماً هو كما هو، فيستحيل أن يصبح عنده الشر خيراً أو الخير شراً، لذلك فهو ضابط لقانون النتائج الذى لا يمكن أن يفلت منه إنسان أو شعب أو دولة.فالذى يزرع الشر يحصد شراً، والذى يزرع الريح يحصد الزوبعة: "إنهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة" (هو ٨ : ٧)، "حرثتم النفاق، حصدتم الإثم، أكلتم ثمر الكذب" (هو ١٠ : ١٣)

على هذه الأسس كان يتنبأ الأنبياء ولا يخطئون قط فى نبواتهم، لأن الله فى نظرهم قبل كل شئ قانون: "ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يع ١ : ١٧)، وقد أثبتوا بنبواتهم التى تمت فى حينها وتمت بكل حذافيرها، أن الله قد استُعْلِنَ فعلا لهم كقانون ثابت أمين لا يختلُّ ولا يحيد. وهذا هو ما عبَّرَ عنه المسيح: "أقول لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون" (يو ١٣ : ١٩).

٢- الله يسخر الناموس الطبيعى لتهذيب الإنسان:

لقد استُعْلِنَ الله كخالق الكون بكافة مخلوقاته، والذى يضبط كل قوانينه، يتحكم فى الحر والبرد والرياح والمطر والزلازل والبراكين، وليس بقانون تحكُّمى مطلق منفرد. فالإنسان يدخل كشريك مع الله فى مسئولية تطبيق هذه القوانين فى العالم، وعلى كل المخلوقات التى فيه. فشَرُّ الإنسان يجعل الأرض الخضراء قفراً، وصلاح الإنسان وعدم مخالفته لله يُحوِّل القفار إلى جنة: "يجعل الأنهار قفاراً،

ومجارى المياه معطشة، والأرض المثمرة سَبخة من شر الساكنين فيها. يجعل القفر غدير مياه، وأرضاً يابسة ينابيع مياه" (مز ١٠٧ : ٣٣ – ٣٥).

وطاعة الإنسان وخضوعه لوصايا الله تُسَخِّر له قوى الطبيعة لنضج الثمار وتكاثرالحيوان وتوفر المحاصيل كأفضل ما يكون دون أن يمسها مرض أو وباء أو الحشرات المفسدة: "وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه ... مُبَارَكاً تكون فى المدينة، ومباركاً فى الحقل. ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك ..." (تث ٢٨ : ١ – ١٤). ولكن العقوبة مشهرة فى وجه الإنسان إذ هو حاد عن طاعة الله، فالطبيعة تنقلب كلها عدوةً له: "ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه ... تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتُدركك. ملعوناً تكون فى المدينة، وملعوناً تكون فى الحقل .. يرسل الرب عليك اللّعن والإضطراب والزجر فى كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتَفنَى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتنى .." (تث ٢٨ : ١٥ – ٦٨)

وقد إستخلص الأنبياء بصورة قاطعة أن القانون الطبيعى مرتبط بالقانون الأخلاقى فى حُكم الله عامة وفى مملكة اسرائيل بنوع خاص، ولا يقف أحدهما بمعزل كلّيٍ عن الآخر، والله يضبط العالم بمعيارين مادى وروحى فائقين يتناسبان مع صلاح الله الشخصى، وفى نفس الوقت، يتوافقان مع تأديب الإنسان ونموه. وقد كان هذا التهذيب وتأديب الإلهيَّين بواسطة تطبيق نواميس الطبيعة المادية على حياة الإنسان بمثابة الدرس الأول الذى تلقاه الإنسان الطفل المُمَثَّل فى شعب اسرائيل، تمهيداً لتطبيق نواميس الروح على الإنسان الناضج المُمَثَّل فى الكنيسة الروحانية، مما يتمشى مع التطور المطلوب للإنسان من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح.

٣- الله يتحكم فى علائق الشعوب ومصائرهم، ويجعلهم عصا تأديب بعضهم لبعض:

فالأُمَمْ تظن أنها حرة، وأن بقوتها تصنع نجاحاتها وتاريخها؛ ولكن الحقيقة هى أن الله جعل الأمم عصا تأديب بعضها لبعض، ويستخدم حركاتها ليظهر بها تأديبات مشيئته ويُتَمِم بها مراحم عمله، دون أن يكون مسئولاً عن شر أشرارها وقبائحهم: "أشور قضيب غضبى، والعصا فى يدهم هى سخطى. على أمَّةٍ منافقة أرسله، وعلى شعب سخطى (اسرائيل المغضوب عليها) أُوصيه، ليغتنم غنيمة وينهب نهباً ويجعلهم (بنى اسرائيل) مدوسين كطين الأزقة! ... فيكون متى أَكمل السيد كل عمله بجبل صهيون وبأورشليم، أنى أعاقب ثمرة عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه. لأنه قال: بقدرة يدى صنعت وبحكمتى، لأنى فهيم. ونقلت تخوم شعوب، ونهبت زخائرهم، وحططت الملوك كبطل ... (ولكن) هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبر المنشار على مُرَدِّدَهُ؟ كأن القضيب يُحرك رافعه ..." (أش ١٠: ٥ – ١٥). فبقدر ما تخضع الشعوب لله بقدر ما تستفيد من مراحم مشيئته، فإن هى إعتزت بنفسها إنكسرت وإنقلب عزها ومجدها إلى تمزُّق وهوان.

حتى تحركات الشعوب وهجرة الأجناس يضبطها الله لتسير وفق مقاصده العليا، فليست اسرائيل وحدها هى التى أخرجها الله من مصر، فهو أخرج أيضا الفلسطينيين من مواطنهم الأولى، والسوريين (الأراميين) من قير: ألستم لى كبنى الكوشيين يابنى اسرائيل، يقول الرب؟ ألم أُصعِد إسرائيل من أرض مصر، والفلسطينين من كفتور والأراميين من قير"(عا ٩ : ٧). فالله يحكم على الشعوب، وحكمه مطلق؛ ولكنه يُصدره مضبوطاً بمبادئ ثابتة، وعلى قياس يمكن إدراكه على طول المدى.

قد يبدو أن بعض الدول الكبرى تَتَسلَّط على مصائر الدول الصغرى، وكأنما أطماع البشرية تحرك التاريخ العام وتصنعه، ولكن الحقيقة أن تاريخ العالم لا يمكن أن يتحكم فيه إنسان أو شعب فالتاريخ ينبثق من إرادة الله من مصدر واحد ويتَّجه نحو غاية واحدة. وهو إن كان فى مسيره يتأثر بكافة التحركات الطيبة والشريرة، إلا أنه على المدى الطويل تظهر فيه إرادة الله كَيدٍ جبارة تستخدم الطيب والشرير من الحوادث والأشخاص والحكومات، لتصنع من الجميع مصيراً موحداً لشعوب الأرض طراً، ينسجم مع إرادة الله وينطق فى النهاية بأن الله .والله وحده . هو صانع التاريخ، لأنه هو صانع الإنسان!!: "أنا نبوخذ نصر رفعت عينى إلى السماء، فرجع إلىَّ عقلى، وباركت العَلىَّ، وسبحت وحمدت الحى إلى الأبد، الذى سلطانه سلطان أبدى، وملكوته إلى دور فدور. وحُسِبَتْ جميع سكان الأرض كلا شئ، وهو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض، ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل؟" (دا ٤ : ٣٤ ، ٣٥).

٤- الله وناموس العقوبة والفداء:

لا يقف ناموس العقوبة منفرداً بحدِّ ذاته، فهو متعلق صميمياً بالناموسين الأدبى والأخلاقى المنبعثين أيضاً من طبيعة الله وبره. فالإنسان مسئول عما يحل به من عقوبة، بل هو الذى يصنعها لنفسه.

الله يستطيع أن يؤجل العقوبة حتى ينجح الإنسان فى إلغائها بالتوبة والمصالحة مع الناموس المجروح، سواء كان الناموس الأدبى أو الناموس الأخلاقى. ولكن الله لا يستطيع أن يلغى العقوبة إلغاءً سهلاً بدون قيد ولا شروط، لأن ذلك يتعارض مع طبيعته، ويُسئ إلى برِّه وإلى كافة نواميسه الأخرى. أى أن العفو عن خطية يقترفها الإنسان أو الشعب بدون توبة أو عدم توقيع العقوبة المستحقة، يُعْتَبَرُ إجراءً خطيراً ضد ناموس البر؛ بل ويُحسب هدماً للناموسين الأدبى والأخلاقى، وهو عمل يُخالف طبيعة الله، أى يتعارض مع صلاحه وبره.

فالإنسان أو الشعب إذا أساء إلى الناموس الأدبى أو الناموس الأخلاقى فإنه ينشئ أو يخلق فى العالم طاقة شريرة حية ومميتة معاً: حيَّةً بواسطة الإنسان وفيه؛ ومميتة لأنها تفصله عن الله مصدر الحياة الأبدية!! والشر الذى ينطلق من أى إنسان أو أى شعب، لابد أن يعود بعد نهاية المطاف ويلتف حول عنق ذلك الإنسان أو ذاك الشعب، لأن الطاقة الشريرة تعود لتسكن فى مصدرها. ولكن بسبب عامل الزمن والنسيان وقصر النظر الروحى وضعف الإحساس والتمييز، يعتقد الإنسان أن الشر أو العقوبة المترتبة عليه هما فعلان أو حادثان منفصلان قد يلتحمان وقد لا يلتحمان؛ ولكنهما فى الحقيقة هما وجهان لشئ واحد مهما تباعدا، ولا يفصلهما شئ إلا جهالة الإنسان أو طول أناة الله!

مقالات في التاريخ المسيحي
القرن الخامس الميلادي
أحداث ما بعد مجمع أفسس ٤٣١ م (٦ جلسات أخرى)

وبعد أنتهاء المجمع المسكوني وأعماله وبعد نشر قراراته لجميع أهل القسطنطينية بسبعة أيام كاملة فوجئ جميع من في أفسس بحضور يوحنا الأنطاكي (صديق نسطوريوس) ومعه أثنان وثلاثون من أساقفته. ولما علم يوحنا الأنطاكي ومن معه بالقرارات التي اصدرها مجمع أفسس المسكوني في جلسته الأولى وترحيب الشعب لها، سارع بعمل مجمع من ٤٠ أسقفاً (ممَن حضروا معه وثمانية آخرين) معارضاً قرارات الجلسة الأولى في حرمان نسطوريوس والحرومات الأثنى عشر من القديس كيرلس.

في هذه الأثناء حدث أن الأمبراطور ثيؤدوسيوس أصدر قراراً بمنع الآباء الأساقفة بمغادرة أفسس الا بقرار منه!! وحدث أيضاً أن حضر الي أفسس القس فيلبس ومعه شخصان كمندوب عن الأسقف سليستيوس أسقف روما (نظراً لكبر سنه). **وهنا عقد مجمع أفسس المسكوني جلسته الثانية** لسماع رأي سليستيوس أسقف روما (في بدعة نسطوريوس) فكان أيمانه مطابقاً لأيمان القديس كيرلس ومؤيداً لقرارات الجلسة الأولى من المجمع.

وفي اليوم التالي عقد المجمع جلسته الثالثة وفيها طلب القس فيلبس (ومن معه) مندوب سليستيوس أسقف روما أن يطلع على ما توصل اليه المجمع في جلسته الأولى وتفاصيل ما جرى فيها. ولما أطلعوه الأباء على ما حدث والقرارات التى توصلوا اليها وقعوا على هذ القرارات بموافقة سليستيوس أسقف روما عليها أيضاً كمثل باقي الأباء. فأرسل الأباء جميعاً رسالة الي الأمبراطور ثيؤدوسيوس تتضمن موافقة أسقف روما على القرارات وطلبوا فيها السماح لهم بأقامة أسقف آخر للقسطنطينية بدلاً من نسطوريوس المخالف والسماح لهم بالرجوع الي كراسيهم بعد ذلك.

وبعد ذلك بوقت قصير طلب القديس كيرلس الكبير ومعه الأسقف ممنون (أسقف القسطنطينية الجديد) من المجمع الأجتماع في جلسة خاصة لمناقشة الحرمان الذي أصدره ضدهما يوحنا الأنطاكي ومجمعه الغير قانوني. **فعقد المجمع جلسته الرابعة** (برئاسة يوبيناليوس أسقف أروشليم) لبحث الحرومات الموضوعة ضد القديس كيرلس والأسقف الجديد للقسطنطينية. وفي بداية الجلسة أرسل الأباء الدعوة الي يوحنا الأنطاكي ومن معه ثلاثة أساقفة لدعوته للحضور وعرض رأيه على الأباء فرفض يوحنا الأنطاكي الحضور. فأرسل المجمع له أباء أساقفة مرتان أخريتان ولم يستجيب للمرة الثالثة. وهنا قام أحد الأباء وأعلن أن يوحنا الأنطاكي أخطأ في نقطتين. أولاهما أنه لا يملك الحق في حرمانية الأسقفين كيرلس وممنون بناء على أصدارات المجمع لأن ما أعُلن هو أيمان المجمع كله وليس أيمان هاذين الأسقفين فقط. وثانيهما أن المجمع الذي كونه ليس له صفة قانونية ليحرم او يُسقط حرمانية أي أسقف. وبعد المناقشة وتداول الأراء، رفض المجمع القرار بحرمانية الأسقفين كيرلس وممنون وأعتبره كأنه لم يكن.

وفي اليوم التالي **أنعقد المجمع المسكوني للجلسة الخامسة** (برئاسة يوبيناليوس أسقف أروشليم أيضاً) لدعوة يوحنا الأنطاكي للمرة الرابعة (ولم يكن هناك داعي لذلك) ولكن كانت هذه الجلسة هي محبة الميل الثاني أو محبة الخروف الضال الذي لا يعلم الي أين يذهب. ولم يستجيب أيضاً هذا المتصلف ورفض الحضور بغرور أحمق. ولم يجد المجمع أي وسيلة سوى الحكم بقطعه من الشركة المقدسة حسب القوانين الكنسية. وأضاف القرار الي القرارات السابق أتخاذها.

وبعد ذلك بأيام قليلة **عقد المجمع المسكوني جلستين أخيرتين (سادسة وسابعة)** لمناقشة مشكلة كنسية حدثت في كنيسة قبرص وأيضاً لمناقشة مجموعة قوانين تنظيمية جديدة أضيفت الي القرارات السابق أصدارها.